المبحث الثانى

الفاروق عمر بن الخطاب
الخليفة الثانى

● **توطئة**

يجب أن نتوقف هنا لحظات لنتذكر أننا لا ندرس السيرة النبوية ولا عهد الراشدين كتاريخ ، **وإنما موضوعنا هو : الاتفاق والاختلاف بين أهل السُّنَّة والشيعة، وهدفنا النهائى هو : الكشف عن الحقائق .**

وقد بَّينا بذور تلك الخلافات فى عهد أبى بكر وكيف غطت عليها عوامل الاتفاق وآفاق التعاون وأواصر الوحدة بين المسلمين بحيث لا يمكن الحديث عن سُنَّة وشيعة فى تلك الفترة . لكن هذه الحقيقة لا يجب أن تنسينا أنه كان لعلى بن أبى طالب موقفه من الخلافة ، وأنه تجاوزه إلى آفاق رحبة من التعاون مع الخليفة الأول ، رضى الله عنهما .

وفى هذا المبحث الثانى نتابع قضيتنا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولسوف تشدنا الأحداث فى نهاية عهد عمر وبداية عهد عثمان ونهايته لما تنطوى عليه من جوانب الاتفاق والاختلاف ، وظهور التكتل السياسى الذى سُمِّى « شيعة على » كحزب دينى متميز من أصول مكونات الأمة المسلمة التى أطلق عليها « أهل السُّنَّة » . وكما هو معروف، تطورت الأفكار، وانتهى الأمر إلى تشكيل الفرق الخمس المعروفة : أهل السُّنة ، والشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة . وتفاقمت الخلافات حتى شملت الأصول والفروع ، واحْتَّدت ـ أحيانا ـ حتى كَفَّر بعضها بعضاً . وقامت دول على أساس طائفى ، واندلع القتال بين الجيوش المسلمة!

واليوم تطل علينا تلك التطورات الدامية الكئيبة المهلكة ، يقودها رجال

صغار سفهاء يتسببحون حُرْمة دم المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، ويمهدون السُّبُل للغزاة الصهاينة والأمريكان لإخضاع أمتنا وإذلالها ونهب ثرواتها . ولسوف نرى هنا أن ما يذهب إليه أولئك السفهاء لا صلة له بديننا الحنيف الذى لا يبيح الخلاف إلا ضمن وحدة الأمة ، ولا يسمح بالتباينات إلا داخل الإطار الإسلامى الواحد .

لكن النقاد الشيعة ينسبون إلى علي بن أبى طالب أنه اتهم أبا بكر وعمر باستغلال الخلافة ، وأنه قال إنهما :«لَشَدَّ ماتشطَّرا ضرعيها»[1] وهو قول يتنافى مع أقوال علي فى حق الشيخين ، ويتنافى مع حقائق السيرة النبوية وأقوال الرسول ﷺ فى امتداح تضحياتهما . وقد لقيا ربَّهما بعد جهاد طويل صَنَعَ من الأمة المسلمة (التى كانت مهددة بالزوال بُعَيْد وفاة النبى)[2] أعظم دولة فى العالم ، وقد صارت بلاد الشام ومصر وفارس أجزاء منها فضلاً عن الجزيرة العربية واليمن والبحرين . ولقى أبو بكر ربَّه ولم يترك لورثته شيئاً ، وكذلك عمر الفاروق ، بعد أن عاش الشيخان العظيمان عيشة زهد فى الدنيا ، اقتداء بالنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وطلباً لمرضاة الله تعالى . وهذه الحقائق تنسف تلك المقولة الظالمة نسفًا! وقد كانت سيرة عمر بن الخطاب وجهاده وتضحياته العظام كوزير للنبى ثم لأبى بكر هى التى أهّلته للخلافة بعد أبى بكر . ولقد صدق الحُطيئة حين قال :

ولم يؤثروك بها إذْ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ

وسوف نأتى من أقوال عليٍّ فى حق عمر ما يكذب ذلك الاتهام الباطل الذىَ وضعه الغلاة على لسانه فى «نهج البلاغة» وظلُّوا يرددونه جيلاً بعد جيل إلى اليوم دون فحص أو تدقيق !

---

(١) النص والاجتهاد ؛ ص٩٥

(٢) فوات الوفيات ؛ جـ ١ ص ٢٧٧

أبو بكر يعهد لعمر بن الخطاب ... لماذا ؟

لم يقع خلاف يُذكر حول خلافة عمر بن الخطاب وذلك لأن شهادات النبى ﷺ زكَّتْه ، وجهاده فى سبيل الإسلام معروف مشهور ، وخبراته القيادية فى السياسة والحرب واسعة . وقد صحب رسول الله ﷺ منذ فجر الدعوة ، وتلقَّى على يديه العلم والحكمة ، وخاض معه معارك السلم والحرب ، وأبْلىَ فى كل ذلك أحسن البلاء . والتزم العمل وزيراً لأبى بكر الصديق مدة ولا يته ، فكان نعم المستشار المخلص الأمين . وتاريخه كله سلسلة من الأعمال الباهرة الفريدة .

قال رسول الله ﷺ :« اللهم أعِزَّ الإسلام بأحب هذيْن الرجليْن إليك ، بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب » (١) وهذا الدعاء النبوى الكريم يشير إلى شخصية عمر المهيبة فى الجاهلية ، وإلى قدراته الاجتماعية والسياسية والحربية الفائقة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « مازلنا أعِزَّةً منذ أسلم عمر. »(٢) فقد كان المشركون يستخفُّون بالرعيل الأول من المؤمنين ، حتى أسلم عمر، وتصدى لهم ، بقوته الفائقة وحميته المرهوبة .

وشهد له النبى ﷺ فقال :« إن الله عز وجل ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه » (٣) وهذه الخصال الأخلاقية السامية من أهم مقومات القائد والحاكم العادل، وذلك هو ما اشتهر به عمر بعد توليه الخلافة .

وكذلك شهد له النبى ﷺ بسعة العلم وقال :« بينما أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن ، فشربتُ منه ، ثم أعطيتُ فَضْلِي عمر بن الخطاب » قالوا: فما أوَّلْتَه يا رسول الله ؟ قال : العلم » (٤)

---

(١) الفتح الربانى ؛ أبواب ما جاء فى خلافة ثانى الخلفاء الراشدين ؛ رقم ١٥٨-٢٣ / ٧١

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ ١ / ٤٦٧

(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ١٥٩-٢٣ / ٧١

(٤) الفتح الربانى رقم ١٧٦ ، وعن أبى هريرة - رقم ١٧٧ مثله ، ومسلم ؛جـ ١٥ ص١٥٩

والمؤهلات العلمية الرفيعة من أهم مسوغات القيادة فى دولة تقوم على مبادئ خاصة وشرائع وقيم حاكمة فى كل مجالات حياتها . ويؤكد حديث آخر ـ عن عقبة بن عامر ـ قال :« سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لو كان بعدى نبى لكان عمربن الخطاب »[١] وهذا تعبير بليغ عن سعة علم عمر بالإسلام . وهى نتيجة طبيعية لملازمته اللصيقة بالنبى ﷺ طوال عصر النبوة .

وشهد له النبى ﷺ بالتقوى والالتزام الصارم ، فقال :« إيهًا يا بن الخطاب ! والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سَالِكاً فَجًّا قَطُّ إلاَّ سَلَكَ فجًّا آخر غير فَجِّك ! »[٢]

● شورى أبى بكر

لهذا كله، ولمعرفة المسلمين المباشرة بعمر، لم يقع خلاف يذكر حول البيعة له . فحين أحسَّ أبو بكر بدنو أجله، استشار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، رضى الله عنهم جميعاً ، فى العهد لعمر من بعده . قال ابن عوف إن عمر أفضل مما يراه فيه الخليفة ولكن فيه غلظة ! فقال أبو بكر :« ذلك لأنه يرانى رقيقًا، لو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه » وقال عثمان : « اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله »[٣]

وَرُوِي عن عبد الرحمن بن عوف أن بعض كبار الصحابة غضبوا من العهد لعمر ، وأن بعضهم كان يطمع فى الخلافة .[٤] وفى خبر آخر قيل إن طلحة بن عبيد الله لم يكن راضياً عن العهد لعمر لشدته على الناس .[٥]

ولم يكتف أبو بكر بالذين استشارهم من كبار الصحابة ، سواء الذين زكوا عمر والذين لم يزكوه ، فعمد إلى استشارة الناس الذين كانوا يعودونه فى مرضه الذى مات فيه ، ووجد شبه إجماع على الرضا به ، فقال لبعضهم :« إنِّى والله ما أَلَوْتُ من جهد الرأى ، ولا ولَّيتُ ذَا قرابة ، وإنى استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا » قالوا :« سمعنا وأطعنا »[٦] وثبت بعد ذلك أن عهده لعمر كان من أعظم أعماله .

---

(١) الفتح الربانى ؛ رقم ١٥٨-٢٣ / ٧٠ (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ ١٥ / ١٥٨
(٣) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١٣هـ - ٣ / ٤٢٨
(٤) نفسه . (٥) نفسه ؛ ١ / ٤٣٣
(٦) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ١٣هـ - ٣ / ٤٢٨

ولم تذكر الأخبار شيئاً عن موقف علي بن أبى طالب ، وهل كان ضمن الراضين بعمر أم كان من الرافضين . لكن الأرجح أنه اتخذ موقفاً شبيهاً بموقفه من الخليفة الأول . فقد والاه وَأيّده وعاوَنه ، وزوَّجَه ابنته أم كلثوم . وأقد أثنى عليه الثناء العطر. فعن ابن عباس أن علي بن أبى طالب وقف على سرير عمر بن الخطاب بُعَيْدَ أن أسلم الروح فقال :« ما خَلَّفْتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألْقَى الله بمثل عمله منك. وايْمُ الله إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبَيْك ، وحَسبْتُ أنِّى كثيراً (ما كنتُ)أسمعُ النبى ﷺ يقول « ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجْتُ أنا وأبو بكر وعمر»[1] **فهذا إذَنْ مستوى رفيع من الرضا القلبى عَبَّرعنه علي بوضوح لا يقبل الالتباس أو التأويل . وعلي يعلن رضاه عن سيرة عمر وأعماله ، ويتمنى أن يَلْقَى الله بمثل عمله . وهو يشهد بأن عمر جاير بصحبة النبى ﷺ وأبى بكر فى الدار الآخرة .**

ولقد حزن عَلَى مقتل عمر آلُ البيت جميعاً . وكلام علىٍّ فيما سبق أصدق تعبير عن ذلك . وهذا الإمام الحسن بن علي رضى الله عنهما يقول :« أي أهْل بيت لم يجدوا (يعنى يحزنواعلى) فَقْدِ عمر فهم أهل بيت سوء»[2] وقال فيه علي : «**ذهبَ نقى الثوب قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها** . أدى إلى الله طاعته واتَّقاه بحقه»[3]

وحرص عمر ـ وهو يصارع الموت ـ على إقرار مبدأ الشورى . وقد رفض أن يعهد إلى ابنه عبد الله حين اقترح عليه أحدهم أن يفعل ، وقال :« إن أستخلفُ فقد استخلفَ من هو خير منى (يقصد أبا بكر) ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى (يقصد النبى ﷺ)» [4]

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٦٨٥ وابن ماجه ؛ رقم ٩٨ جـ ١ ص٣٧، ومسلم ، جـ ١٥ ص ١٥٨ ، ١٦٠

(٢) طبقات ابن سعد ؛ ٣/٣٢٧

(٣) نهج البلاغة ؛ رقم ٢٢٦ ص٢٧٧

(٤) نفسه ؛ ٣/٢٩٠

ـ كذلك يظهر من وصايا عمر الحرص على تنظيم الشورى وعلى سرعة اختيار الخليفة كيلا يظل مكانه شاغراً فى وقت كان المسلمون فيه هدفاً لأعداء كثيرين .

وعن ابن عمر قال :« حضرتُ أبى حين أصيب ، فأثنوا عليه ، وقالوا : جزاك الله خيراً . فقال :« راغب وراهب ! » قالوا : استخلف ! فقال :« أتحمل أمركم حيًا وميتًا ؟ لَوَدِدْتُ أن حظّى منها الكفافُ ، لا عليَّ ولا لى ! فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى (يعنى أبا بكر) ، وإن أترككم فقد تركككم مَنْ هو خير منى ـ رسول الله ﷺ . قال عبد الله :« فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غيرُ مستخلف »[1] لأن عبد الله كان يعرف جيداً حرص أبيه على اتباع سنة النبى ﷺ .

● الاختلاف فى الفقه

ولم يكن الاتفاق الفقهى بين الإمامين عمر وعلي كاملاً ، فا ختلفا فى مسائل اجتهادية عديدة . وكان التباين فى الاجتهاد خاصية علمية ذائعة فى ذلك المجتمع الفَتِىّ المتوثب ، دون أن يكون ذلك معْول فُرقة أو نفرة بين المجتهدين، فعلي سبيل المثال فَسَّر علي آية التربُّص [2] بأن المُتَوفَّى عنها زوجُها ليس عليها أن تَعتَدَّ فى بيتها ، وتعتُّد حيث شاءت ، فى حين كان عمر يرى أن عليها أن تعتد فيه ، ولا يجوز لها أن تخرج فى حج ولا عمرة حتى تنقضى عِدَّتها . [3]

● ترشيح على للخلافة

ومن ثمار الحوار بين الإمامين (عمر وعلي) أن عمر رشح ستة من كبار الصحابة ليختاروا خليفتهم من بينهم وكان أولهم علي بن أبى طالب . فلما طعن أبو لؤ لؤة المجوسى أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، وأيْقَنَ القوم أنه ميت قالوا له أَوْصِ، فقال :« ما أجِد أحق بهذا الأمرمن هؤلاء النفر الذين تُوُفِّى رسولُ الله ﷺ وهو

---

(١) مسلم ؛ جـ ١٢ ص٢٠٤

(٢) سورة البقرة ؛ الآية رقم ٢٣٤

(٣) راجع تفسير الآية فى القرطبى .

عنهم راضٍ ، فَسَمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء ، فإن أصابت سعداً فهو ذاك ، وإلاّ فَلْيَستعنْ به أيكم أُمِّر ، فإنِّى لم أعزله عن عجز ولا خيانة »(١)

● وفاة عمر ورثاء الصحابة له

وتُوُفِّى عمر فى أول المحرم سنة ٢٤هـ . (٢) عن عمرٍ يناهز الستِّين عاماً . وفارق عمر الدنيا مَرضْيًا عنه من الجميع . ورثاه كبار الصحابة بما ينم عن الحب والتقدير العظيم ، وأولهم وأبلغهم علي بن أبى طالب الذى قال فيه :« لله بلاد فلان فقد قوَّم الأَوَد ، ودَاوَى العَمَدَ ، وخَلَّف الفتنة ، وأقام السنة ، ذهب نقىّ الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها . (يقصد الولاية أو الخلافة) . أدَّى إلى الله طاعته ، واتَّقاه بحقه » (٣)

وقال ابن عباس مخاطباً عمر وقد لحِقَ بالرفيق الأعلى :« يا أمير المؤمنين ! والله إن كان إسلامك لَنَصْرًا ، وإن كانت إمامتك لَفَتْحًا . والله لقد مَلأت إمارتك الأرض عدلاً ، ما من اثنين يختصمان إليك إلاّ انتهيا إلى قولك » (٤) وقال أيضًا :« إن كنتَ ـ ما علمنا ـ لأمير المؤمنين ، وأمين المؤمنين ، سيد المؤمنين ، تقضى بكتاب الله وتُقْسم بالسويَّة » (٥)

ورثاه عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال :« نِعْم أَخُو الإسلام كنتَ يا عمر! جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، تَرْضى حين الرضَى وتغضب حين الغضب ! عفيف الطرف طيب الظرف ! لم تكن مدَّاحًا ولا مغتابًا » (٦)

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب فضائل الصحابة ؛ رقم ٣٧٠٠ جـ٧ ص٦١
(٢) الذهبى ؛ العبر؛ ١ / ٢٠
(٣) نهج البلاغة ؛ رقم٢٢٦ – ص ٢٧٧ – ط.دار الشعب .
(٤) طبقات ابن سعد ؛٣/ ٣٠٥
(٥) نفسه ؛٣/ ٣٠١ (٦) نفسه ؛ ٣/ ٣٢٣

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :« والله إنِّى أَحْسَبُ أن (شجر) العضاة قد وَجِدَ (حَزِن) فَقْدَ عمر ! »

هذه المراثى تبين الكثير من خصائص شخصية الفاروق رضى الله عنه ، كما تكشف عن عمق الوفاق والاتفاق بين قادة الأمة فى عهده ، وعلى رأسهم علي بن أبى طالب . **ورثاء «علي» بالذات يكشف عن قوة وحدة الأمة ، وما أَسْداه إليها عمر من خدمات ، وما تمتعت به فى خلافته من عافية واستقرار وتقدم ، بحيث يمكن القول إن عمر أَتَمَّ استعادة وحدة الأمة بعد الرجفة التى صَدَّعت بنيانها بحركة الردة وتعدد ظهور الأنبياء الكَذَبَة ، وإنكار بعض القبائل لفريضة الزكاة ، فاستكمل عمر جهود الخليفة الأول وشيد عليها وأحكم البناء .**

● افتراءات غلاة الشيعة على عمر

لكن غلاة الإمامية لا يرون شيئاً من إنجازات عمر التاريخية . هم فقط **يرونه الظالم لعلي** ، ومن أجل إثبات ذلك يفترون عليه بأحاديث كاذبة منها أنه قال لابن عباس ، فى بعض طرق المدينة ، وهما يسيران يداً بيد : يا ابن عباس ، ما أحسب صاحبك إلا مظلوماً ! قلت : فَرُدَّ إليه ظلامته يا أمير المؤمنين ! قال : فانتزع يده من يدى ، وتقدمنى يهمهم ، ثم وقف حتى لحقته ، فقال : يا ابن عباس ، ما أحسب القوم إلا استصغروا صاحبك . قال قلت : والله ما استصغره رسول الله ﷺ حين أرسله وأمره أن يأخذ «براءة» من أبى بكر فيقرأها على الناس فسكت(عمر) .

قال ابن الجوزى : **هذا حديث لا يصح** . ولو علم عمر أنه ظالم بذلك ـ يعنى بقبول الخلافة ـ لم يفعل :« وإنما هذا من وضع الرافضة ، وفى إسناده مجاهيل » [1] وأقول : ما دخل الخلافة بإبلاغ الناس بالأحكام ؟!

والغلاة لا يملُّون من تكرار الاستشهاد بهذا الخبر الزائف فى معظم الكتب التى تصدر عنهم ، ولا يملون من تكرار قصة الأذان بسورة «براءة» فى الحج . والحق

---

(١) العلل المتناهية ؛ رقم ١٥٦٩ ـ جـ ٢ ص٤٥٩

أن النبى ﷺ كان قد جعل أبا بكر أميراً على الحج ، ثم أرسل علياً ليعلن الناس بما جاء فى « براءة » من أحكام ، ومعه جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة ، رضى الله عنهم جميعاً ، لأن فرداً واحداً ما كان يستطيع أن يطوف بكل القبائل ليبلغهم أحكام الله ، فعملوا جميعاً تحت إمرة الصديق ، حتى كان الواحد منهم يبح صوته من أثر الصراخ فى الناس ! وعلى كل من يتشكك فى هذه الحقائق أن يراجع تفسير سورة براءة فى أى كتاب مُعتبر ، مثل تفسير الطبرى أو الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

إذَنْ ، كان عهد الفاروق رضى الله عنه عهد اتفاق من الطراز الأول ، وفى ظل الاتفاق ، تحققت الإنجازات الكبرى التى يحاول بعض الغلاة طمسها فى أوحال خرافاتهم السخيفة !

● «عليٌّ» المستشار الأمين لعمر

وكان « علي » يشير على عمر فيحترم رأيه ، لسداده ونفعه . وقد شاوره عمر فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه فقال :« إنك إن تَسِرْ إلى هذا العدو بنفسك فَتَلْقهم فَتُنْكَب ، لا تكن للمسلمين كَانفة (أى عاصمة يلجأون إليها) دون أقْصَى بلادهم . ليس بعدك مرجع يرجعون إليه . فَابْعثْ رجلاً مِحْرباً (يعنى صاحب حرب) ، واحْفزْ معه أهل البلاء والنصيحة . فإن أظهره الله فَذَاك ، وإن كانت الأخرى كنتَ رِدْءاً للناس ومثابةً للمسلمين » (١)

ـ وهى مشورة رجل سياسى محنك واسع الأفق مخلص لأمته وإمامه . وكان من الطبيعى أن يأخذ بها عمر دون تردد وأن يحرص على مشورته دائماً .

واستشار عمر عليًّا أيضاً فى **غزو الفرس بنفسه** ، فأشار عليه بالبقاء فى المدينة باعتبار مكان الحاكم :« مكان النظام من الخرَز ، يجمعه ويضمه ، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . . فكنْ قطباً ، واستدر الرَّحىَ بالعرب وأصلِهم ـ دونك ـ نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض

---

(١) نهج البلاغة ؛ رقم ١٣١ ص١٥٩

انتقضت عليك العرب من أطرافها حتى يكون ما تدعُ وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أَشَدَّ لِكَلَبِهم (حرصهم) عليك وطمعهم فيك ... » (١)

ومرة أخرى يستنصح لنا علي بن أبى طالب فإذا هو الرجل الخبير بعادات العرب والفرس ، وتقاليد السياسة والحرب ، ونفسيات الملوك والقادة وأساليب تفكيرهم ، فيبهرنا بحكمته وعلمه ، رضى الله عنه .

- ويبهرنا عمر الفاروق أيضًا ، فهو الشيخ الوقور ، وأمير المؤمنين المسؤول ، لكنه يسعى إلى الإمام الشاب الذى يصغره بسنين ليسأله المشورة ، ويُصغى إليه ويحترم كلمته دون حرج . ولولا هذه الروح العمرية لما استنصح غَيْره ، ولمَا نَصَحَه غَيْرُه ! ولو استنصح ، فنُصح ، ولم يعمل بما نُصح به ، لما تكررت النصائح من الحكماء العارفين المجربين .

● عهد إنتصارات

وفى ذلك المناخ السياسى المستقر ، وفى ظل تلك الوحدة الصُّلبة التى لا يشوبها تصدع ، والتى وقف فيها المسلمون جميعاً صفاً واحداً تحت قيادة الفاروق عمر ، انطلقت جيوش المسلمين لتفتح بلاد الروم : دمشق وبيسان وطبرية وحمص وبيت المقدس . كذلك تم فى ذلك العهد المجيد فتح مصر والإسكندرية ، وبلاد فارس : همزان والرى وقومس وجرجان وطبرستان وأذربيجان وكرمان وسجستان والأهواز . وبذلك تأسست دولة إسلامية كبرى على أنقاض الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية ، وأشرقت أنوار الإسلام على شعوب تلك البلاد التى كانت تعيش فى ظلمات الجهل والقهر والظلم والاستبداد .

وفى اعتقادى أن بوسع الأمة المسلمة أن تنهض اليوم إذا استطاعت نبذ الخلاف بين السنُّة والشيعة ، وبين العرب والأكراد ، وبين الدول والدويلات التى حدد الاستعمار حدودها لتظل فى نزاع لا ينتهى . والأعداء يعرفون هذه الحقيقة جيداً فيعملون على إشعال الفتن بين الشيعة وأهل السُّنة فى العراق وفى دول الخليج

---

(١) نهج البلاغة ؛ رقم ١٤٣ - ص١٦٦

ولبنان وباكستان وبين العرب والبربر فى المغرب والجزائر ، وبين العرب والزنج فى السودان والدول الإفريقية ، وبين الأتراك والأكراد فى تركيا ، وبين الفرس والعرب والأكراد فى إيران ! ومن المؤسف أن السفهاء من الغلاة والشعوبيين هم الذين يحكمون فى معظم البلاد المسلمة اليوم ، وهم الذين تحركهم أيدى الأمريكان من وراء البحار .

فَلْنعُد إلى تقاليد «عمر وعلي» لا إلى فتنة «علي ومعاوية» لأن ذلك هو ما يمليه ديننا العظيم وما يتطلبه مستقبل أمتنا المجيد . وهذه العودة تتطلب جهاداً عظيماً ، وإصراراً ومثابرة وتضحيات جسام . غير أن هذا هو قَدَرُنا فى عصر ابتُلى باستعمار بعد استعمار وهيمنة بعد هيمنة ، وكانت أمتنا الممزقة هى الضحية على امتداد أكثر من مائتى عام .

وفى ضوء الصورة التى وجدناها أمامنا لعصر أبى بكر وعمر ، وموقع علي فيها يتحتم رَدُّ الأخبار التى تُصَوِّرُهُ غاضبًا رافضاً لا يكف عن ترديد القول إنه أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر .(١)

وحين توفرت الأموال ، ووضع عمر الدواوين ، **فَرَضَ لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ومن ضمنهم على بن أبى طالب ، «وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان** . وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفاً ـ وقيل اثنى عشر ألفاً ـ (١) وقال عمر :«إنى إنما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام، لا على الأحساب» (٢) وهذا يشير إلى تقديره لآل بيت النبى ـ ﷺ ـ إلى جانب السابقة فى الإسلام .

● نقد غلاة الشيعة

لكن غلاة النقاد الشيعة رأوا فى حرص عمر على الشورى شيئاً آخر : إنه جاهل يعتمد على علم علي بن أبى طالب ! وهذه رؤية عمياء وأكذوبة قبيحة .

ـ يقول العقاد ـ رحمه الله ـ :«**إن فقه عمر بالشريعة التى كان مسؤولاً عن**

---

(١) تاريخ الطبرى ؛ أحداث سنة ١٥ الفقرتان ١ / ٢٤١٢ ؛ ٢٤١٣ ـ جـ ٣ ص ٦١٤

(٢) نفسه ؛ الفقرة ١ / ٢٤١٢ ـ أحداث سنة ١٥ جـ ١ ص ٦١٣

نفاذها مشهور بين الفقهاء كاشتهار أدبه واطلاعه على تاريخ قومه ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : كان عمر أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله .» ويقول :« لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة ميزان ووضع علم الأرض في كفة، لرجح علم عمر بعلمهم » . ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . وقال ابن سيرين :« إذا رأيت الرجل يزعم أنه أعلم من عمر فشك في دينه » . وكل ما فسر به آي القرآن في معرض الحكم والعظة فهو التفسير الراجح في وزن العقل والدين ، وكل ما استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم الواضح الصحيح » . (١)

ويقول العقاد أيضاً إن عمر :« كان رجلاً وافر الحظ من ثقافة زمانه ، وإنه كان أديباً مؤرخاً فقيهاً مشاركاً في سائر الفنون ، مدرَّبًا على الرياضة البدنية ، خطيباً مطبوعاً على الكلام ، فليس أرجح من نصيبه في ثقافة زمانه نصيب » .(٢)

لكن علم عمر الواسع وثقافته الشاملة لم يمنعاه من استشارة كبار الصحابة . وهذا لا يعني أنهم كانوا أعلم منه ، لا عليٌّ ولا غيره . لكن الناقد المتحيز الحاقد على الفاروق عمر يقلب كل الحقائق رأساً على عقب ، ليحط من قدر الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ويرفع من قدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما .

● موقفه من صلح الحديبية

ومن مآخذ غلاة النقاد الشيعة على الفاروق عمر بن الخطاب موقفه من الشروط المجحفة في صلح الحديبية ، فيقول أحدهم :« إن عمر قد أدركته الحمية، ونزت في رأسه سورة الأنفة ، فأتى أبا بكر وقد استشاط غضباً فقال : يا أبا بكر ! أليس هو برسول الله ؟ قال : بلى قال : أَوَلَسْنَا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أَوَ ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال فَعَلاَمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا ؟ فقال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ، وليس يعصي ربَّه ، وهو ناصره . اسْتَمسِك بغرزه حتى تموت ، فإني أشهد أنه رسول الله » (٣)

حمية عمر ، وغيرته على الإسلام ، وتعبيره عن موقف معظم الصحابة الذين غضبوا من شروط صلح الحديبية ، يفسرها النقاد الشيعة الغلاة على أنه شكٌّ في

(١ ، ٢) عبقرية عمر ؛ ص٢٤٦ (٣) النص والاجتهاد ؛ ص ١٨٤ – ١٨٥

صدق النبى ﷺ ! [1] إن عمر أخطأ كما أخطأ معظم الناس الذين شهدوا الصلح. واعترف عمر بخطئه بعد ذلك وكان يكثر من الاستغفار كلما تذكَّر ذلك الموقف . ولاريب أن عمر كان معذوراً ، وجميع المسلمين الذين شهدوا الصلح كانوا معذورين فى رفضهم له ، لأن شروطه بدت لهم قاسية ومجحفة ، ولم يقل أحد إنهم شكوا فى صدق النبى ﷺ . ولكن عداء الشيعة المرير لعمر يسوقهم دائماً إلى مثل هذه الاتهامات العدوانية الشنيعة .

والسيرة النبوية العطرة حافلة بالمواقف التى خالف فيها الصحابة رسول الله ﷺ . فقد علمهم أن يبدوا آراءهم بحرية تامة فيما ليس فيه وحى من عند الله . وقد اعترض الحباب بن المنذر على اختيار موقع المعسكر فى معركة بدر ، ولم يغضب منه النبى ، بل نفذ مشورته . ويوم الأحزاب ، خالف سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ اتفاق النبى مع غطفان على أخذ ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم من جيش المشركين . ورجع النبى عن الاتفاق ، استجابة للسعديْن ولم يعتبر ذلك شكاً فى صدق النبى أو تمرداً عليه أوعصياناً له . واعترض بعض المسلمين على قسمة الغنائم يوم جنين . وعلم النبى بذلك ، فجمعهم وشرح لهم الموقف ، فبكوا ورضوا بقسمته ﷺ .

ومن وراء هذا كله الإيمان بأن النبى ﷺ معصوم فيما يبلغه عن الله ، وليس معصوماً عصمة مطلقة كما يعتقد الشيعة . إن هذه العقيدة هى التى تفسر لنا الكثيرمن المواقف والآراء والخلافات .

● هوس الغلاة

ولكن بعض الآراء تبدو جنونية ، مصادمة لكل الحقائق ، ولا تفسير لها سوى الهوس الذى استولى على بعض الغلاة الشيعة ، حتى استجاز لنفسه أن يقول إن عمر بن الخطاب قال :«إن فى القرآن فضائح المهاجرين والأنصار فنؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة للمهاجرين والأنصار» [2]

وسوف نرى مَنْ الذى حرّف القرآن وألّف المصاحف وهل هم أهل السُّنَّة أم غيرهم ؟ وسوف تظل مكانة عمر الفاروق شامخة مضيئة فذة على الرغم من خزعبلات الغلاة الموتورين !

---

(١) النص والاجتهاد ؛ ص ١٨٤ – ١٨٥

(٢) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ ٨٩ باب ٧ ص٣٢